المبحث الرابع

التوجهات الإيمانية المؤثرة في الموارد الاقتصادية

الفرع الأول: التوجهات الإيمانية المؤثرة في زيادة الموارد الاقتصادية

الفرع الثاني: المخالفات الإيمانية المؤثرة في ندرة الموارد الاقتصادية

الله سبحانه جل شأنه خالق كل شيء ، ومقدر لكل شيء، وفق عباده للأخذ بالأسباب ، ورتب قدره على سعيهم ، إما بالموافقة لمقدمات سعيهم ، وإما بالمخالفة لتوقعاتهم وتقديراتهم ، لحكمة يعلمها وحده .

وهناك أقدار من الله عز وجل ليست موقوفة على أسباب من البشر ، وإنما أمرها موكول إلى مطلق المشيئة الإلهية التي تقول للشيء كن فيكون .

ففي أمر الرزق مثلا ، هناك رزق موقوف على السعي في الأرض والانتشار فيها ابتغاء فضل الله عز وجل ، وهناك رزق اختص الله سبحانه وتعالى بعض أنبيائه بغير ما سبب ، مثل رزق السيدة / مريم من فضله ، كما جاء في قول الله عز وجل :

● ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[آل عمران: ٣٧]

وهذه الأقدار المطلقة من حيث السبب والنتيجة يفوض أمرها إلى الله وحده ، ويصعب التخطيط لها ، والجزم بوقوعها من قبيل الإيمان بالقدر ، ولكن مشيئة الله عز وجل وحده هي الحاكمة فيها ، ولا دخل فيها لبشر .

أما الأقدار الموقوفة على الأسباب ، فيمكن توقع نتائجها ، ولكن دون جزم أو يقين ، فالغيب من مكنون سر الله عز وجل .

وهناك أسباب مادية ، وأسباب معنوية ، الأسباب المادية مثالها السعي وبذل الجهد في سبيل تحصيل الرزق ، والأسباب المعنوية مثالها التوكل على الله عز وجل وابتغاء فضله من وراء ذلك السعي.

ومن الأمور المعنوية والتصرفات الإيمانية التي يترتب عليها زيادة الرزق، ما جاء ذكره في الكتاب والسنة مثل الاستغفار وصلة الأرحام وإقامة الحدود إلى غير ذلك .

وعلى عكس ذلك هناك مخالفات إيمانية تنذر بزوال النعم وضياع الرزق، مثل الكفر والظلم وتفشي الترف .. إلخ .

وقبل تناول التصرفات الإيمانية المؤثرة في الرزق زيادة أو فقدا ، ينبغي التأكيد على أمر عقدى هام مؤداه ، أن الأثر القدري للتصرفات الإيمانية هي من شأن الله عز وجل وحده، ينفذها حيث يشاء وقت يشاء على نحوما يريد.

وعلى سبيل المثال حين يتفشى الظلم في المجتمع ، يكون هذا إيذان بهلاكه ، ولكن متى وكيف هذا أمر موكول لمشيئة الله وحده وقدره.

فبرغم الجزم الإيماني المتيقن بأن الظلم يهلك الأمة لا محالة ، إلا أن الأمر خارج عن أساليب القياس البشرى ، ولله فيه الشأن وحده .

وكذلك الأمر في كل التصرفات الإيمانية الإيجابية أو السلبية التي تعد بفضل الله بزيادة الرزق ، أو تنذر بزوال نعمته ، تقوم الثقة في مواجهتها على أساس الدليل المتيقن من كتاب الله وسنة رسوله ، ولكن دون تدخل في توقيتها أو كيفية وقوعها .

أى أنها تخرج من دائرة القياس ، ومن ثم لا يجوز التخطيط باحتمالاتها ، لأن التخطيط في صميمه نوع من القياس البشرى المسبق والمستمد من خبرة التراكمات المعرفية السابقة ، والأمر بالنسبة إلى قضاء الله ومشيئته ، ليس محكوماً بحصر أو كم أو كيف .

ومباحث هذا الفصل تتناول الأسباب العقدية التي يتأثر بها الرزق ، إما بالزيادة نتيجة تصرفات إيمانية إيجابية ، وإما بالنقص والزوال نتيجة تصرفات مخالفة لمقتضى الإيمان.

الفرع الأول

التوجهات الإيمانية المؤثرة في زيادة الموارد الاقتصادية

العقيدة الإيمانية الصادقة والصحيحة ، هي الأساس والمقدمة الضرورية لكل تصرف موجب لأثره من كرم الله سبحانه وتعالى في الدنيا ، وعفوه في الآخرة .

والالتزام الأخلاقي لا وزن له ولا أثر مالم يقم على عقيدة صحيحة صادقة ، فإذا صح الاعتقاد صح الالتزام ، وإلا كان الخلل السلوكي الذي يعود إلى خلل في العقيدة أو ضعف في الإيمان .

والكثير من التوجهات والتصرفات الإيمانية مردها اليقين بصفات الله عز وجل وحسن الأدب في التعامل معها ، فكان الحمد والشكر من أدب التعامل مع الحميد الشكور والاستغفار رجاء وتأدباً مع الغفور والتوكل غير المفرط في الأسباب ، موجباً لأدب العلاقة مع الوكيل سبحانه وتعالى والرحيم موجبا للرحمة المتبادلة بين الخلق ، ترفقاً بالفقراء والمساكين وإعطائهم من فضل سبحانه جل شأنه .. وهكذا .

والإيمان بالله عز وجل ، وبأنه سبحانه وتعالى الرزاق ولا رازق سواه ، واليقين الواثق بأن كل ما جاء في كتابه الكريم حق لا ريب ، هذا الإيمان وهذا اليقين هو المقدمة التي يرتب بها المسلم ثقته في ارتباط زيادة الأرزاق بأداء بعض الأعمال الصالحات ، وفق وعد الله سبحانه جل شأنه .

والإيمان المتيقن لدى المسلم بحسن الظن بوعد الله ، يؤمن معه في ذات الوقت أن الأمر في منتهاه موقوف على مشيئة الله سبحانه وتعالى وحده .

والتوجهات والتصرفات الإيمانية المؤثرة في الرزق ، هي مقدمات أسباب من أعمال العبادة والذكر والاستقامة والشكر ، يتقدم بها العبد إلى ربه ، فإن شاء قبلها وإن شاء ردها ، فهو سبحانه جل شأنه مطلق الأمر والإرادة في فضله وعطائه ، يقدره بقدره ويهبه بعلمه لمن يشاء من عباده ، إن شاء أنفذ مشيئته في بلوغ الأسباب لنتائجها .. وإن شاء أوقف تلك النتائج ـ مهما بلغ من حذق الأسباب وإتقانها ـ لحكمة يعلمها .

والمؤمن حين يقدم تلك الأسباب ، يعلم أنه لا حتم ولا إلزام على الله بشيء ، فيفوض الأمر لله عز وجل موقناً برحمته واثقاً من كرمه ، فإن تخلف عطاء الله في ظاهر الأرزاق ، فعليه بالثقة في أن ذلك لحكمة من الله أرادها ، تكمن فيها أسباب خير خفيه ، يعلم الله عز وجل وحده سرها ، ويأمل أن يستبقى الله سبحانه جل شأنه في الآخرة ثوابها .

فدائرة الثواب ليست قاصرة على عاجل بشرى الله للمؤمن في الدنيا وحدها ، فنعيمها إلى زوال ، وإنما الثواب الحق الدائم الذي لا زوال له ، هو نعيم الآخرة الذي يجزى به الفضل والخير للصالحين من عباده .

فلا يأس من رحمة الله إن تخلفت النتائج عن مقدمات الأسباب ، فالله عز وجل لا يضيع عنده ثواب وإنما قد يعجل الإجابة لعباده في الدنيا ، وقد يدخرها ثوابا في الجنة ، والآخرة خير وأبقى .

وهناك مقدمات أسباب إيمانية يتوقع منها زيادة الرزق جاء بها نص قرآني صريح ، وهناك أسباب ذكرها النبي ﷺ في بعض من أحاديثه .

والإشارات التي جاء ذكرها فيما بعد . هي التي ثبت في نصها الربط المباشر بين أداء عمل صالح ما وزيادة الموارد والأرزاق .

إلا أن هذا لا يعني أن زيادة الأرزاق مرهونة فقط بتلك الروابط ، وإنما هناك أسباب إيمانية عامة لها أثرها في زيادة الموارد ، إلا أن ذكرها جاء بغير رابطة مباشرة بتلك الزيادة .

ولعل أقرب الأمثلة على ذلك .. الأثر الذي يمكن أن يحدثه التعاون بين المؤمنين ، والأثر المترتب على الترابط والوحدة بين صفوفهم ، وما يؤدى إليه من تكامل مثمر وزيادة في موارد الأمة الإسلامية .

وأخيراً .. فإن هذه التوجهات والتصرفات الإيمانية المؤثرة في زيادة الموارد يؤمن بها المسلم ويقبلها منطقه الإيماني ، أما غير المسلم فمن الطبيعي أن يجهلها ، وإن عرفها سيتنكر لها ، وبذلك يمكن القول بخصوصية تلك التصرفات ، خاصة أن توحيد الله عز وجل والإيمان به هو مدخل القبول لكل عمل صالح ، وإلا فلا وزن له .

وفيما يلي عرض تفصيلي للتوجهات والتصرفات الإيمانية المؤثرة في زيادة الموارد :

١ ـ الأخذ بأسباب العمل الصالح :

العمل ومقوماته من الإتقان والانضباط في الأداء والحرص على بذل غاية الوسع في السعي على الرزق والأخذ بأسبابه ، هي الأصل العام الذي يرتب الحصول على الرزق ، وهي التي بالحرص عليها وتنامي الجهد في سبيلها، تحقق زيادة وفضلا في الدخل والرزق .

والمؤمن يأخذ بأسباب الرزق أدبا مع ربه ، دون ادعاء منه بأن جهده أو علمه أو علاقاته وأسبابه الشخصية هي وحدها المرتبة للرزق ، فالمؤمن يأخذ بأسباب العمل و السعي ، ثم يفوض إلى ربه الأمر فيما قدره من رزق .

وكم من رجال أعمال يقدمون أسبابا محدودة في الوقت والجهد ، ربما رسالة برقية أو وساطة هاتفية ، ثم يحققون من وراء ذلك الخير الكثير ، وفي المقابل كم من كادحين طوال يومهم ، يشقون فيه من صباحهم لمسائهم ، ورزقهم مقدر بقدر معلوم لحكمة أرادها علام الغيوب .

فالأسباب هي أعذار العباد إلى الله عز وجل ، والأرزاق هي فضله سبحانه وتعالى يهبه بقدر لمن يشاء .

ولأهمية موضوع العمل والإنتاج والضوابط المتعلقة به ، فقد أفرد له بحث تفصيلي مستقل .

٢ ـ الإنفاق في سبيل الله عز وجل :

وعد سبحانه وتعالى من أنفق ابتغاء مرضاته ، أن يخلف عليه في الدنيا ويرزقه في الآخرة حسن الثواب .. حيث قال :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦١]

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[سبأ: ٣٩].

ووعد سبحانه وتعالى بإكرام المنفقين في سبل الخير .. فقال :

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[الحديد: ١٨].

٣ ــ الإيمان :

وعد سبحانه وتعالى بمزيد من الرزق والبركة للمؤمنين .. حيث قال :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[الأعراف: ٩٦].

قال قتادة : لأعطتهم السماء بركتها والأرض نباتها[1]

وبثبات الإيمان تدوم النعم .. كما وعد الله سبحانه جل شأنه في كتابه الكريم بقوله :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٥٣].

٤ ـ الصلاح والتقوى :

وعد الله سبحانه جل شأنه لمن اتقى من عباده ، برزق من حيث لا يحتسب .. فقال :

﴿.....وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾[الطلاق: ٢-٣].

وقد ثبت «عنْ أبي ذرٍّ قال: جعل رسولُ اللّه ﷺ يتلو عليَّ هذه الآية ومنْ يتّقِ اللّه يجْعلْ لهُ مخْرجًا حتّى فرغ منْ الآية ثُمّ قال يا أبا ذرّ لوْ أنّ النّاس كلّهمْ أخذوا بها لكفتْهمْ قال فجعل يتْلو بها ويُرَدّدُها عليَّ حتّى نعستْ..»[2]

ولقد من الله عز وجل على سيدنا يوسف عليه السلام بالملك ، بعد ما كان من أمر خشيته لربه ، ورجائه إليه أن يصرف عنه الفتن ، وصبره على أذى أخوته والظالمين الذين أودعوه السجن بغير ما سبب جناه .. كل ذلك أعقبه الله له خيراً في الدنيا بملك لا مزيد بعده لفضل .. فقال الله عز وجل عن لسانه :

﴿ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[يوسف: ٩٠]

٥ ـ الهجرة في سبيل الله عز وجل :

لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية .. هذا ما أوصى به النبي ﷺ ، وهذا التوجه لا يتنافى مع هجرة بعض المؤمنين أحياناً فراراً من الفتن ، أو قد يخرجوهم أعداء الإسلام بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، كما هو الحال المؤسف الآن إزاء بعض الأقليات الإسلامية في بعض الدول الأوروبية .

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – الدر المنثور في التفسير المأثور – الجزء الثالث – دار الفكر – طبعة ٩٣ – صفحة ٥٠٥

٢) حديث مرفوع متصل رواه أحمد في مسنده – كتاب مسند الأنصار – باب حديث أبي ذر الغفاري

وقد بشر الله عز وجل بزيادة الرزق للمهاجرين فراراً بدينهم وفى سبيل نصرته .. فقال :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[النحل: ٤١].

وقال الله عز وجل :

﴿ وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء: ١٠٠].

عن قتادة قال في تفسير مراغماً كثيراً وسعة «متحولاً من الضلالة إلى الهدى ، ومن العيلة إلى الغنى »[١].

والهجرة في سبيل الله عز وجل ، تتيح للمؤمن منافع اقتصادية عديدة من بينها :

١ ـ حرص المهاجر على الأداء المخلص للعمل والأمانة في المعاملات بحيث تعكس نمواً ورخاء اقتصادياً .

ومما يجدر الإشارة إليه ، أن أغلب مسلمى العالم ، دخلوا الإسلام تأثرا بالقدوة الطيبة للتجار المسلمين الأوائل بعد ما عايشوا أمانتهم وصدقتهم في معاملاتهم.

ولولا نية الجهاد في سبيل الله التى استحضرها المهاجرون ، لذاب هؤلاء التجار في المجتمعات التى هاجروا إليها .. تأثراً بتقاليدهم وتماشيا مع عاداتهم، ولما أقاموا دعوة ولا حققوا أثراً .

٢ ـ الربط بين منافع الوطن الأم ومنافع المجتمع المهاجر إليه ، وتحقيق منافع في التبادل السلعي بينهما ، وكما جاء في الحديث الذى رواه سيدنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون»[٢].

٦ ـ الاستغفار :

وعد من الله عز وجل لعباده ، بأن رزقهم سيصير إلى زيادة إن استغفروا الله عز وجل عن ذنوبهم أو تقصيرهم .. فقال :

١) الدر المنثور – مرجع سابق – صفحة ٦٥٠

٢) حديث مرفوع منقطع رواه ابن ماجه فى سننه – كتاب التجارات – باب الحكرة والجلب

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[هود: ٣].

ووعد الله عز وجل بزيادة الرزق بالاستغفار على لسان بعض من أنبيائه .. فقال سيدنا نوح لقومه :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[نوح: ١٠-١٢]

وقال سيدنا هود لقومه :

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[هود : ٥٢-٥٣]

وفي الحديث الشريف حدثنا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أنه حدثه عن ابن عباس أنه حدثه قال قال رسول الله ﷺ : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل همٍّ فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»[1].

وأخرج البيهقي في سننه عن الشعبي رحمه الله قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى يرجع .

والاستغفار يتيح فرصة لمراجعة النفس وأخطائها والكشف عنها ومحاولة تصحيحها ، لأن المستغفر عادة يستحضر في نفسه الأعمال التي يرجو من الله غفرانه والعفو عنها .

والتصرفات الإنسانية لا تخلو من تصرفات اقتصادية مبادلة أو عطاءً، والاستغفار يعمق الحرص على الامتثال لشرع الله في تلك التصرفات ، بما ينعكس إيجابياً على تسامي النشاط الاقتصادي على نهج من قيم الفضيلة والصدق والشرف .

٧ ـ شكر الله سبحانه جل شأنه :

الشكر يزيد من الرزق والنعم بإذن الله عز وجل .. وقد وعد الله سبحانه وتعالى بذلك حين قال :

١) حديث مرفوع متصل رواه أبو داود في سننه – كتاب الصلاة – باب الاستغفار

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]

وقد أمر الله عز وجل عباده بالحمد ، ولقنهم إياه رحمة بعباده وإشفاقاً عليهم من عجزهم عن الوفاء بما يليق من الحمد لربهم .. فقال سبحانه وتعالى:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحه: ٢].

وجاء الأمر بالشكر والحمد في أكثر من نص قرآني مبارك ، حيث قال الله عز وجل :

﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[البقرة: ١٥٢].

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٩٨].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣]

﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥]

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[النصر: ٣].

والشكر والحمد من الأمور التى يحبها الله عز وجل ، حيث ثبت في الحديث

عنْ أنس بْنَ مالك قال: قال رسُولُ اللّه ﷺ : «إنّ اللّه ليرْضى عنْ الْعبْد أنْ يأْكل الأكْلة فيحْمدهُ عليْها أوْ يشْرب الشّرْبة فيحْمدهُ عليها»[1].

ولا غرابة في أن يرتب الشكر والحمد زيادة في النعم والفضل ، إذ إن حمد الله عز وجل وشكره على سابغ جوده وكرمه ، من أفضل أوجه الدعاء المستحب عند الله عز وجل ، وفى ذلك أكثر من أثر مبارك من أحاديث النبى ﷺ .. حيث روى أن

جابر بن عبد اللّه رضي اللّهُ عنهما يقول: سمعتُ رسُول اللّه ﷺ يقُولُ: «أفْضلُ الذّكر لا إله إلاّ اللّهُ وأفضلُ الدّعاء الحمْدُ للّه»[2].

وفى الحديث :

١) صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء – باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب

٢) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى سنده – كتاب الدعوات عن رسول الله – باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابه

عنْ أبي ذرٍّ ﷺ عنْ نبيِّ اللّه ﷺ أنّهُ قال: «إنّ أحبّ الْكلامِ إلَى اللّه أنْ يقول الْعبْدُ سبْحان اللّه وبحمْده »[1].

وفي حديث:

عنْ أبي هُريْرة ﷺ قَالَ: قال رسُولُ اللّه ﷺ : «كلمتان خفيفتان على اللّسان ثقيلتان في الْميزان حبيبتان إلى الرّحْمنِ سبْحان اللّه وبحمْده سبْحان اللّه الْعظيم»[2].

ومن مظاهر الشكر .. التحدث بنعمة الله عز وجل ، بغير نية فخر أو كبر أو تعالى على الناس ، والحذر من الوقوع في الخطأ بنسبة النعمة إلى النفس أو إلى أسباب من العباد ، وفي الحديث:

عن النُّعْمان بْن بشير قال: قال النّبيُّ ﷺ على المنبر: «منْ لمْ يشْكُرْ الْقليل لمْ يشْكُرْ الْكثير ومنْ لمْ يشْكُرْ النّاس لمْ يشْكُرْ اللّه عزّ وجلّ والتّحدّثُ بنعْمة اللّه شكْرٌ وتركْها كُفْرٌ والْجماعةُ رحْمةٌ والْفُرْقةُ عذابٌ»[3].

ويرتب الشكر والحمد لله عزوجل آثاراً اقتصادية إيجابية لعل أهمها ما يلي :

١ ـ قيام الإنسان بواجب الحمد والشكر .. يجعله يتسامى بطموحه الاقتصادي ويكون مهيئا لمزيد من التنمية والاستثمار .. لأنه لا يستكثر على الله عز وجل مزيد من فضله .

٢ ـ قيام الإنسان بواجب الشكر .. يجعله محافظاً على الموارد والنعم من الإسراف والتبذير وسوء الاستخدام ، لأن نسبة النعمة إلى الله بالشكر يجعل الإنسان على حذر من مخالفة أمر الله فيها .

٣ ـ في حالة التعرض لأى من الهزات الاقتصادية والتى قد تكون محنتها شديدة ، لا يستولى اليأس على نفس المسلم ، وإنما يثق في أن فضل الله عز وجل سيعوضه خيراً ، متفائلاً بأن استقبال قضاء الله بالرضا ، والحرص على شكره في كل حال ، سيعود عليه بمزيد من الفضل .

٨ ـ الاستقامة على شرع الله :

الاستقامة على شرع الله يفتح بركات من النعم بإذن الله عز وجل .. حيث قال :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦]

١) حديث مرفوع متصل رواه أحمد في مسنده – كتاب مسند الأنصار – باب حديث أبي ذر الغفاري
٢) صحيح البخاري – كتاب الإيمان والنور – باب اذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أوسبح
٣) حديث مرفوع متصل رواه أحمد في مسنده – كتاب أول مسند الكوفيين – باب حديث النعمان بن بشير

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[المائدة: ٦٦].

٩ ـ جلب الأرزاق والتجارة من خلال التعارف والعلاقات الإنسانية :

قال الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات: ١٣]

فالتعارف الإنساني والمنافع المتبادلة بين البشر ، ضرورة اجتماعية ، وقد أشار إليها الله عز وجل في كتابه الكريم ، كي يتحقق من وراء ذلك النفع المتبادل ، والحرص على الحكمة والمعرفة والخبرة أيا كان مصدرها طالما لا تشكل خطراً على الدين أو تهديدا للعقيدة ، فقد جاء في الحديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»(١).

وقد وعد النبى ﷺ الجالب للتجارة والمنافع بالرزق الوفير .. فقد جاء

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ»(٢).

وهذه الروح القائمة على الرغبة في التعارف المتبادل تعد من أهم أسس تبادل المنافع والسلع والخدمات والخبرات بين الأمم والشعوب .

وهى تشكل الآن ضرورة اقتصادية لا مفر منها في ظل التكتلات الدولية واتفاقيات التجارة العالمية .

١٠ ـ التوكل

الأمر بالتوكل على الله سبحانه وتعالى .. جاء في أكثر من آية من كتاب الله عز وجل ، من ذلك قوله سبحانه وتعالى :

---

١) حديث مرفوع متصل رواه ابن ماجه فى سننه – كتاب الزهد – باب الحكمة

٢) حديث مرفوع منقطع رواه ابن ماجه فى سننه – كتاب التجارات – باب الحكرة والجلب

﴿.... وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق: ٢-٣].

وألمح الرسول ﷺ إلى الرابطة بين التوكل وأثره في الزرق ، حيث ثبت في الحديث :

عنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ قَالَ: سمعْتُ عمر يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كما يرْزُقُ الطَّيْر تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوحُ بِطَانًا»[1].

١١ ـ صلة الأرحام :

صلة الأرحام من الأمور التي جاء بها الأمر والتأكيد في أكثر من نص قرآني مبارك ، وقد جعل الله عز وجل قطع الأرحام من مظاهر الإفساد في الأرض ، فقال جل شأنه :

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد: ٢٢].

وقد وعد النبي ﷺ بأثر صلة الأرحام في زيادة الرزق ، حيث ثبت:

عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سمعْتُ رسُول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِه أَوْ يُنْسأَ لَهُ فِي أَثَرِه فَلْيَصِلْ رحمهُ»[2].

١٢ ـ متابعة الحج والعمرة :

المتابعة بين الحج والعمرة من الأمور التي وعد النبي ﷺ ، من أداها بزيادة الفضل والرزق، حيث جاء :

عنْ عاصمٍ عنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عامرٍ عنْ أبيه قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ : «تابِعُوا بيْن الْحجِّ والْعُمْرة فإنَّ مُتابعةً بيْنهُما تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ والرِّزْقِ وتَنْفِيَانِ الذُّنُوب كما ينْفِي الْكِيرُ خبث الْحديد»[3].

---

١) حديث مرفوع متصل رواه ابن ماجه فى سننه – كتاب الزهد – باب التوكل واليقين

٢) صحيح البخاري – كتاب البيوع – باب من أحب البسط فى الرزق

٣) حديث مرفوع متصل رواه احمد فى مسنده – كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة – باب أول مسند عمر ابن الخطاب

الفرع الثانى

المخالفات الإيمانية المؤثرة في ندرة الموارد الاقتصادية

الشواهد التاريخية لو أعيد النظر في تقييمها من زاوية العلاقة بين انهيارها وضياع القيم ، لتبين على الفور أن هناك تلازماً حتمياً بين المخالفات الإيمانية والانهيار الحضاري .

وحين الحديث عن الحضارات السابقة مثل قوم نوح وعاد وقوم فرعون وغيرهم ، أكد الله عز وجل إزاء كل منها الترابط الحتمى بين شيوع مظاهر الكفر والظلم والفساد .. ودمارها وانهيارها .

والكفر يعد المدخل الرئيسي لكل شر ، فكما قيل ليس بعد الكفر ذنب، ولذا كان أول دعوة لكل نبي قبل أن ينهى عن فساد مجتمعه ، دعوة الناس إلى توحيد الله عز وجل أولا ، لأنه إذا صح الاعتقاد الإيماني صدق الالتزام الأخلاقي ، ولا وزن لخلق لا يقوم على عقيدة صحيحة، لأنه حينئذ سيكون خلقاً انتهازياً مبنى على النفاق من أجل مصلحة دنيوية فحسب.

وفيما يلي عرض للمخالفات الإيمانية المؤدية إلى الانهيار الحضاري وزوال الموارد الاقتصادية أو تحقق نقص فيها:

١ ـ الكفر :

قال الله عز وجل :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾
[النحل: ١١٢]

وقال جل شأنه :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾
[طه: ١٢٤]

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٥-١٧]

فأعرضوا : بطر القوم أمر الله ، كفروا نعمه .

العرم : مكان في اليمن .

وبعد أن كان شجر القوم من خير الشجر ، صيره الله إلى شر الشجر عقوبة بأعمالهم[1].

٢ ـ المعصية :

حذر الله عز وجل من زوال نعمته عن العصاة .. فقال :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[الأنعام: ٦].

من قرن : من أمة . مدرارا : المطر يتبع بعضه بعضا

٣ ـ الظلم :

توعد الله عز وجل بهلاك الظالمين .. فقال :

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[يونس: ١٣]

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]

﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[الكهف: ٥٩]

وأخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله سبحانه وتعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[2] . ثم قرأ هذه الآية :

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[الأنبياء: ١١].

قال جل شأنه:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[الحج: ٤٥].

---

١) الإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – الدر المنثور في التفسير المأثور – المجلد السادس – مطبعة دار الفكر – صفحة ٦٩٢.

٢) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن – باب قوله وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة

عن قتادة قال :

«خاوية على عروشها : خربة ليس فيها أحد .

بئر معطلة : عطلها أهلها وتركوها .

قصر مشيد : شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه»[1].

٤ ـ البخل عن أداء الصدقة :

توعد الله عز وجل بضيق الرزق لغير المتصدقين .. فقال :

﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾[الفجر: ١٦-٢٥]

٥ ـ الكبر :

الكبرياء لله وحده سبحانه جل شأنه ، هو المتكبر ، وآيات القرآن الكريم تبين تلك الحقيقة العقدية الهامة .. ثم تحذر من مظاهر الكبر المادية بالحركة أو بالإيماءة أو حتى برفع الصوت .

والكبر هو المعصية الأولى .. التى من أجلها طرد إبليس من الجنة .

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عدة أمثلة عن الكبر وأثره في زوال النعم ، منها ، الكبر نتيجة الاغترار بالمال ، على نحو ما جاء في ما جاء في قصة صاحب الجنتين في قول الله عز وجل :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٢-٣٤]

فكان عاقبته ، ما جاء في قول الله عز وجل :

---

١) الدر المنثور – مرجع سابق – صفحة ٦١.

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف: ٤٢-٤٣].

وفي حديث رواه البيهقي في الشعب ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته « وقرأ» ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ».

وأخرج ابن مردوية عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ «من أنعم الله عليه نعمة فأراد بقاءها ، فليكثر من لا حول ولا قوة لا بالله»[1] ثم قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾

وذكر الله عز وجل ما كان من شأن قارون ، الذي اغتر بعلمه ، ونسب النعمة إلى نفسه بدل من نسبتها إلى ربه ، وجاء في ذلك قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾
[القصص: ٧٦]

فكان عاقبته .. زوال نعمة الله عليه .. فقال سبحانه :

● ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[القصص: ٨١].

فبغى عليهم : قال قتاده «فعلا عليهم»[2]

«لا يحب الفرحين : قال مجاهد ﷺ : المرحين ، الأشرين ، البطرين ، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم»[3].

٦ ـ كفر النعمة :

قال الله عز وجل ، محذرا من زوال النعم حين يكفر بها :

---

١) الدر المنثور – مرجع سابق – صفحة ٣٩٢.
٢) الدر المنثور – مرجع سابق – صفحة ٤٣٧.
٣) المرجع السابق – صفحة ٤٣٧ وما بعدها.

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾
[النحل: ١١٢]

وقال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[القصص: ٥٨].

٧ ـ الترف :

المترفون في القصص القرآني هم أسبق الناس إلى الكفر ، ذلك لما جبلوا عليه من الرخاوة والرغبة في الحصول على متع الحياة دون ما نصب ولا تعب، ولو على حساب ظلم الآخرين وسلب حقوقهم ، ومن هنا كانت مقاومتهم لكل دعوة إصلاحية أتى بها الأنبياء والرسل ، لأنها تشكل تهديداً لمصالحهم المبنية على الفساد والاستغلال ، وتقاوم فيهم شهوة الكبر التى يستعلون بها على المجتمع .

وقد صدق الله عز وجل وصفهم حين قال :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾
[سبأ: ٣٤]

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٣].

ومن إمارات الانهيار الاجتماعي والاقتصادي ، تفشى روح الترف في المجتمع ، وتحول أولوياته الإنتاجية من توفية الضرورات الأساسية للحياة ، إلى ترضية نزوات الاحتياجات الترفيه .

هذا فضلاً عن الأثر السلبي للترف في تسريب روح الرخاوة والدعة وعدم القدرة على مواجهة مكابدات الحياة ، والخوار النفسي عند أول ابتلاء يقع به «فالمترف مترهل ضعيف الإرادة ناعم قليل الرجولة ، لم يتعد الجهد فسقطت همته ، وفترت أريحيته؛ والجهد في الجهاد يعطل عليه متاعه الشهواني الرخيص، ويحرمه لذاته الحيوانية فترة من الوقت ، وهولا يعرف قيمة في الحياة سوى هذه القيم الداعرة الشائنة .

ولا غرابة في هذا فالمترفون حريصون على حياتهم الرخوة الشاذة المريضة ، حريصون على شهواتهم ولذائذهم، حريصون على أن تكون من حولهم حاشية وبطانة خاضعة لنفوذهم.

فالمتاع المترف الطويل الموروث عن الآباء ينسى الذكر ، ويؤدى إلى الضحالة»[1].

وبتفشى الترف وما يصاحبه من كبر واستعلاء .. وتسلط أمثال هؤلاء على مقادير الأمم، فإن ذلك يكون إيذانا بنهاية محتومة من الهلاك المحقق الذي توعدهم الله عز وجل به حين قال :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء: ١٦].

٨ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

جاء في الحديث الشريف عن حذيفة:

يقُولُ إنْ كَانَ الرَّجُلُ ليَتكَلَّمُ بالْكَلمَة علَى عهْد رسُول اللَّه ﷺ فيَصيرُ منَافقًا وَإنِّي لأَسْمَعُها منْ أَحدكُمْ في الْمَقْعَد الْواحد أَرْبع مرَّات لتَأْمُرُنَّ بالْمعْرُوف ولَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَر ولَتَحَاضُنَّ علَى الْخَيْر أَوْ لَيُسْحتَنَّكُمْ اللَّهُ جَميعًا بعَذَاب أَوْ لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شرَاركُمْ ثُمَّ يَدْعُو خيَارُكُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ[2].

وفى حديث آخر :

عن الْحسن بْن مُحمَّد قَال حدَّثَتْني امْرَأَةٌ منْ الأَنْصار هي حيَّةٌ الْيوْم إنْ شئْتَ أَدْخلْتُك علَيْهَا قُلْتُ لا حدَّثْني قالَتْ دخَلْتُ علَى أُمّ سلمَة فدخل عليْها رسُولُ اللَّه ﷺ كأَنَّهُ غضْبَانُ فَاسْتَترْتُ منْهُ بكُمّ درْعي فتكلَّم بكَلام لَمْ أَفْهمْهُ فقُلْتُ يا أُمّ الْمُؤْمنينَ كأَنِّي رأَيْتُ رَسُول اللَّه ﷺ دخَل وهُو غضْبَانُ فقَالَتْ نعمْ أَوما سمعْت ما قال قُلْتُ وما قال قالتْ قال: «إنَّ الشَّرَّ إذا فَشا في الأَرْض فلمْ يُتناه عنْهُ أَرْسل اللَّهُ عزَ وجلَّ بأْسهُ على أَهل الأَرْض قالت قُلْتُ يا رسُول اللَّه وفيهمْ الصَّالحُون قالتْ قال نعمْ وفيهمْ الصَّالحُون يُصيبُهُمْ ما أَصاب النَّاس ثُمَّ يقْبضُهُمْ اللَّهُ عزَ وجلَّ إلى مغْفرته ورضْوانه أَوَ إلى رضْوانه ومغْفرته»[3].

٩ ـ شيوع الفاحشة والغش والفساد العام :

الفاحشة وشيوعها كانت إيذانا بهلاك قوم لوط ، والغش في الكيل والميزان كان إيذاناً

---

١) الأستاذ / سيد قطب – العدالة الاجتماعية في الإسلام – دار الشروق القاهرة وبيروت– الطبعة الشرعية السابعة – مارس سنة ١٩٥٤ – ص١٤٥و١٤٦.

٢) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب باقى مسند الأنصار – باب حديث حذيفة بن اليمان

٣) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب من مسند القبائل – باب حديث امرأة من الأنصار

بهلاك قوم مدين ، وكذلك الشأن في أقوام عاد وفرعون وثمود كان لكل منهم وجه إفساد في الأرض ، فأهلكهم الله عز وجل جميعا بذنوبهم .

وفى الحديث :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ مَا ظَهرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلاَّ أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبُ وَلا فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلاَّ كَثُرَ فِيهِمْ الْمَوْتُ وَلا نَقصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ قُطِعَ عَنْهُمْ الرِّزْقُ وَلا حكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِلاَّ فشا فِيهِمْ الدَّمُ وَلا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْعَدُوَّ[1].

١٠ ـ ترك الجهاد :

قال الله عز وجل محذرا من الركون إلى دعة الكسل وترك الجهاد في سبيل الله ، بقوله :

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

وفى شأن معاتبة المتخاذلين عن نصرة دينه ، وتوعد إياهم بزوال نعمة الله عنهم .. قال عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩]

وفى حديث :

عن ابن عمر قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «إذا تبايعتُمْ بالعينة وأخذتُمْ أذناب البقر ورضيتمْ بالزرْع وتركتُمْ الجهاد سلّط اللهُ عليكم ذلاً لا ينزعهُ حتى ترجعوا إلى دينكم»[2].

---

١) حديث موقوف منقطع – رواه مالك فى الموطأ – كتاب الجهاد – باب ما جاء فى الغلول

٢) حديث مرفوع متصل رواه أبو داود فى سننه – كتاب البيوع – باب فى النهى عن العينة